سِلْسِلَةُ إِرْشَادِ السَّائِلِ لِأَهَمِّ الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالرَّسَائِلِ
(٢)

إِبْلَاغُ الْقَاصِي وَالدَّانِي

بِأَدِلَّةِ تَحْرِيمِ وَخُطُورَةِ انْتِشَارِ الْأَغَانِي

تَأْلِيفُ
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الدُّكْتُورِ فَيْصَلِ بْنِ مُسْفِرِ بْنِ مُعَوِّضٍ الزَّنَامِي الْوَادِعِيِّ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

الطبعة الأولى

تنبيه: جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف فلا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو إضافة أو حذف أو شرح أو اختصار أو تغيير أو تبديل إلا بإذن من المؤلف.

للتواصل: +٩٦٧٧٧٧١٧٧١٩١

المقدمة

* إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [سورة النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فأن خير الحديث كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

❋ اعلم رحمنا الله وإياك أنه قد جاء عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المُوبِقَاتِ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ. رواه البخاري (٦٤٩٢).

هذا الخطاب يوجهه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عصر التابعين الذين هم من القرون المفضلة فكيف بعصورنا نحن؟

❋ وإن مما عم شره، وانتشر خطره، وتضاعف ضرره يومًا بعد يوم **لهي فتنة الأغاني، والمزامير، وآلات اللهو والطرب، وما يتبعها مما يسمى بالشيلات التي أصبحت فتنتها أعظم من فتنة الأغاني**؛ لتعلق الناس بها، ولتجدد ألحانها ونغماتها التي تأخذ بشغاف قلوب كثير من الناس.

❋ وإن الغناء حرام أخي الكريم، حرمه الله في كتابه، وحرمه رسوله في سنته، وسنذكر لك في هذا الكتاب أربعة أدلة من

القرآن وأربعة أدلة من السنة على تحريم الأغاني وما يلحق بها، والمؤمن الحق يكفيه الدليل الواحد، ولكن لزيادة البيان والعلم.

الأدلة من القرآن

الدليل الأول

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [سورة لقمان:٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما ذكر تعالى حال السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه، كما **قال الله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [سورة الزمر:٢٣]، عطف بذكر حال الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [سورة لقمان:٦] قال: هو -والله- الغناء.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثني يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يزيد بن يونس، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الصهباء البكري، أنه سمع عبد الله بن مسعود -وهو يسأل عن هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة لقمان:٦] - فقال عبد الله: الغناء، والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات.

وكذا قال ابن عباس، وجابر، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومكحول، وعمرو بن شعيب، وعلي بن بذيمة.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ [سورة لقمان:٦] في الغناء والمزامير. اهـ.

❋ وسمي لهو الحديث لأنه يلهي عن ذكر الله.

❋ وقد توعدهم الله في الآية بالعذاب المهين نسأل الله السلامة والعافية.

الدليل الثاني

قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النجم:٥٩-٦٢] [سورة النجم:٥٩-٦٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ قال سفيان الثوري، عن أبيه عن ابن عباس قال: الغناء، هي يمانية، اسمد لنا: غنِّ لنا. اهـ.

وعن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: سمعت الشافعي يقول: في قول الله عز وجل: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ الآية، قال: يقال: هو الغناء، بالحميرية.

* فتأمل كيف أنكر الله عليهم استهزاءهم وسخريتهم بكلامه الحق، وانهماكهم في اللهو واللعب والضحك والسخرية، ولهوهم عن هذا الذكر بسماع الغناء والمزامير، والله المستعان.

الدليل الثالث

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الإسراء:٦٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [سورة الإسراء:٦٤] قيل: هو الغناء. قال مجاهد: باللهو والغناء، أي: استخفهم بذلك. اهـ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "إغاثة اللهفان": ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية، ولهذا فُسِّر صوت الشيطان به.

وقال: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [سورة الإسراء:٦٤] أي: استزل منهم من استطعت قال: وصوته الغناء، والباطل. وبهذا الإسناد إلى جرير عن منصور عن مجاهد قال: صوته المزامير.

وهذه الإضافة إضافة تخصيص، كما أن إضافة الخَيْلِ والرَّجْلِ إليه كذلك، فكل متكلم بغير طاعة الله، ومصوت بيراع

أو مزمار، أو دف حرام، أو طبل، فذلك صوت الشيطان، وكل ساع في معصية الله على قدميه فهو من رجله، وكل راكب في معصية الله فهو من خيالته، كذلك قال السلف، كما ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: رجله كل رجل مشت في معصية الله. اهـ.

الدليل الرابع

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة الأنفال:٣٥].

❋ قال ابن عباس، وابن عمر، وعطية، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.

❋ والتصفير والتصفيق غالبا أنه يكون مصاحبًا للغناء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الكلام على "مسألة السماع" (١/ ٢٦١): وزادوا أيضًا في آلات اللهو، حتى تعدَّوا إلى آلات اليهود والنصارى والمجوس والصابئة على اختلاف أنواعها، وعظُمت البليةُ، واشتدّت بذلك الفتنة، حتى ربا فيها الصغيرُ وهَرِمَ فيها الكبير، واتخذوا ذلك دَيْدَنًا وديناً، وجعلوه من الوظائف الراتبة بالغدو والآصال، وفي الأماكن والأوقات الفاضلات، واعتاضوا به عن سماع الآيات وعن إقامة الصلوات، وقعدوا تحت **قوله تعالى**: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ [سورة مريم: ٥٩]، وتحت **قوله**: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾ [سورة الأنفال: ٣٥].

فإنَّ **(المكاء)** هو الصفير وتوابعه من الغناء، و**(التصدية)** التصفيق بالأيدي وتوابعه.

❋ فإذا كان هذا سماعَ المشركين الذي ذمه الله في كتابه، فكيف إذا اقترن بالمكاء المواصيلُ والشباباتُ، وبالتصديةِ الدفوفُ المصلصلاتُ، والرقصُ والتكسُّر والتثنِّي بالحركات

الموزونات؟ فكأنَّ القوم إنما حلَّ لهم المكاء والتصدية لما انضمَّت إليه هذه المؤكدات، فهناك ذهب حرامه وبقي حلاله، وزال نقصُه وخلَفَه كمالُه. اهـ.

الأدلة من السنة

الحديث الأول

عَنْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**». رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم برقم (٥٥٩٠)، وهو موصول صحيح عند أبي داود وأحمد.

- وفي رواية عند ابن ماجه: «**لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، وَالْمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ**». رواه ابن ماجه (٤٠٢٠)، وصححه الشيخ الألباني في "صحيح ابن ماجه".

قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "شرح رياض الصالحين": **(المعازف)** وهي جمع معزف، وهي آلة العزف التي يعزف بها، قال العلماء: وتشمل جميع آلات الملاهي إلا ما استثنى منها وهو [الدف] في مناسبات معينة جاءت بها الشريعة، وإلا فالأصل أن جميع آلات العزف محرمة.

☜ وانظر كيف قرن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الأربع بعضها ببعض؛ لأنها في الغالب إنما تكون من المترفين الذين لا يبالون، ليس لهم همٌّ إلا أن يشبعوا رغباتهم من المأكول والمشروب والملبوس والنكاح، وهي أيضًا في نفس الوقت متلازمة في الغالب.

ولهذا يقال: إن الغناء رقية الزنا؛ أي: أنه مثل المرقاة له، أو أنه رقية يعني: مثل الذي يقرأ به حتى يأتي ويحصل، حتى إن بعض أهل المجون -والعياذ بالله- يقولون: إذا راودت امرأة وأبت فغنِّها، فإنك إذا غنيتها لَانَتْ ومكنتك من نفسها، وهذا

شيء معروف؛ لأن هذه الألحان -ألحان الغناء- تؤثر في الإنسان حتى الجماع -والعياذ بالله- فترقق له الزنا واللواط؛ لأن كثيرًا منها -نسأل الله العافية- مشتمل على الغزل، والدعوة إلى الفساد والحب والغرام، وما أشبه ذلك.

وهي مع كونها مدعاة لفساد الأخلاق، وهي والله مفسدة للقلوب؛ لأن الإنسان إذا ابتلى بها انصرف قلبه عن الله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "النونية":

حبُّ الكتاب وحبُّ ألحان الغنا ... في قلب عبدٍ ليس يجتمعان

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الفتح":

قوله: «**وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ**»: -بفتحتين-، والجمع أعلام، وهو الجبل العالي. وقيل: رأس الجبل.

قوله: «**يَرُوحُ عَلَيْهِمْ**» كذا فيه بحذف الفاعل وهو الراعي؛ بقرينة المقام، إذ السارحة لا بد لها من حافظ.

قوله: «**بِسَارِحَةٍ**»: -بمهملتين- الماشية التي تسرح بالغداة إلى رعيها وتروح، أي: ترجع بالعشي إلى مألفها. ووقع في

رواية الإسماعيلي: «**سارحة**» -بغير موحدة في أوله ولا حذف فيها.

قوله: «**يَأْتِيهِمْ لِحَاجَةٍ**»: -كذا فيه بحذف الفاعل أيضا- قال الكرماني: التقدير الآتي، أو الراعي، أو المحتاج، أو الرجل. قلت: وقع عند الإسماعيلي: «**يأتيهم طالب حاجة**» فتعين بعض المقدرات.

قوله: «**فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ**» أي: يهلكهم ليلًا، والبيات هجوم العدو ليلا.

قوله: «**وَيَضَعُ العَلَمَ**» أي: يوقعه عليهم. وقال ابن بطال: إن كان العلم جبلًا فيدكدكه، وإن كان بناء فيهدمه.

قوله: «**وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»: يريد ممن لم يهلك في البيات المذكور، أو من قوم آخرين غير هؤلاء الذين بيتوا. ويؤيد الأول أن في رواية الإسماعيلي: «**ويمسخ منهم آخرين**». اهـ.

☜ **فتأمل حفظك الله** هذه المجموعة من هذا الصنف، اجتمعوا على معصية الله تحت هذا الجبل، يأكلون ويشربون من رزق الله، ويقيمون على اللهو والأغاني واللعب، وتكون نهايتهم أن يسقط الله عليهم ذلك الجبل، وأن يمسخ من بقي منهم قردة وخنازير، **فالحذر الحذر أيها المسلم مما يغضب الله سبحانه.**

* **ويا لله العجب** كم من هذه الأصناف في هذا الزمن، ممن يخرجون إلى البر، أو إلى شواطئ البحار، يقضون الليالي الحمراء في الرقص والغناء واللهو حتى الفجر، ولكن الله سبحانه يملي لهم لعلهم يتوبون إلى الله ويستغفرونه، نسأل الله الستر والسلامة.

الحديث الثاني

وَعَن أنس بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَوْتَانِ مَلْعُوْنَانِ فِيْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: مَزْمَارٌ عِنْدَ**

نعْمَةٍ، وَرَنَّةٌ عِنْدَ مُصِيْبَةٍ». رواه البزار، ورواته ثقات، وحسنه الألباني في "الصحيحة" (٤٢٧)، و"صحيح الترغيب" (٣٥٢٧).

* ففي هذا الحديث يبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هذين الصوتين مبغوضان عنده ملعونان **الأول**: صوت النائحة عند المصيبة لما في ذلك من التسخط، على القدر وعدم الرضا بما كتبه الله وقدره. **والثاني**: مزمار عند نعمة، بمعنى استعمال المزامير وآلات اللهو والطرب والغناء عند النعم، كالأعراس والأعياد. وهذا مبغوض إلى الله؛ لأن فيه مقابلة هذه النعمة والمسَرَّة والفرح بما يغضب الله سبحانه، ففي هذا كفران للنعمة وبطر وأشر، نسأل الله العافية والسلامة.

☜ وإذا تأملت أحوال المسلمين اليوم في أعراسهم مثلا لرأيت الغالبية العظمى واقعين في هذه المعصية إلا من رحم الله، بل وتزايد الأمر شرًا عامًا بعد عام، فأصبح يُجلَب لها

المطربون والمزمرون، والفرق الموسيقية، ويُسْتَأجرون بالمبالغ الباهضة؛ لإحياء الأعراس، وأصبح يُعلَّقُ لها مكبرات الصوت في الشوارع وفي البيوت، وتُسْتَأْجرُ لها الصالات الواسعة، ويجاهرون بهذه الكبيرة ربَّ العالمين، ويسهرون الليالي على الغناء والرقص والخنا، لا يرعون لمريض حقه، ولا يقدرون لجار جواره، ولا يخافون من سخط الجبار عليهم، والله المستعان.

الحديث الثالث

وَعَن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّتِيْ خَمْسًا فَعَلَيْهِمْ الدَّمَار: إِذَا ظَهَرَ التَّلَاعُنُ، وَشَرِبُوا الْخُمُوْرَ، وَلَبِسُوْا الْحَرِيْرَ، وَاتَّخَذُوْا الْقَيْنَاتَ، وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ**». رواه البيهقي في "الشعب"، والطبراني في "الأوسط"، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب" (٢٠٥٤) و (٢٣٨٦).

*** تأمل يا أخي المسلم الكريم هل ظهرت هذه الخمس الخصال جميعها في زماننا؟**

الجواب: نعم، بل لعل بعضها لم يكن قد ظهر في الأزمان القديمة بالعلن؛ كاكتفاء الرجال بالرجال -والعياذ بالله-، وهو اللواط. وأصبح في زماننا هذا يسمى بغير اسمه فيقال في أهله: (المثليين)، ويجعل لهم الشعارات الخاصة، والألبسة الخاصة، ويفتخر أحدهم أنه من المثليين، وتعطيهم الدول التصاريح بممارسة الفاحشة بكل حرية، ويجعل لهم أندية وأماكن خاصة لممارسة هذه الفاحشة، نسأل الله الستر والسلامة.

☜ وشاهِدُنَا في الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاتَّخَذُوْا الْقَيْنَاتَ**» أي: المغنيات، وما أكثرهم في هذا الزمان! لا كثرهم الله.

* بل من العجب أن تجد شباب المسلمين يسافرون المسافات الطويلة لحضور أغنية لقينة من هؤلاء القينات، ويصرفون المبالغ الكبيرة في حجز التذاكر لحضور هذه الحفلات التي تحييها هذه المغنية، متنقلة من مدينة إلى مدينة، ومن دولة إلى دولة، ضاربة بحيائها وعفتها وحشمتها ودينها عرض الحائط. وهؤلاء الأسرى -أسرى الهوى والشيطان- يتابعونها أين ما ذهبت.

* **فواعاراه على شباب الإسلام** إن أصبحت هذه هممهم، وأصبحت هذه حياتهم ومبلغ علمهم، نسأل الله أن يرد ضال المسلمين إلى دينه ردًا جميلا.

الحديث الرابع

عَنْ عمرانَ بن حُصَين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَكُونُ فِي أُمَّتِي قَذْفٌ وَمَسْخٌ وخَسْفٌ**» قِيلَ: وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: «**إِذَا ظَهَرَتِ المَعازِفُ، وكَثُرتِ القِينَاتُ،**

وشُرِبَتِ الخُمُورُ». رواه الترمذي، وصححه الشيخ الألباني في كتابه "تحريم آلات الطرب".

☜ **والشاهد:** ظهرت المعازف، وكثرة القينات.

❋ ففي هذه الأدلة المتقدمة بيان تحريم الأغاني وآلات اللهو والطرب، فعلى من كان واقعًا في شيء من ذلك أن يبادر بالتوبة إلى الله؛ فإن التوبة تمحو ما كان قبلها، والله سبحانه غفور رحيم.

فائدة

* جاء في "إغاثة اللهفان" ص(٢٤٣): قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما: ما تقول في الغناء، أحلال هو أم حرام؟ فقال: لا أقول حرامًا إلا ما في كتاب الله. فقال: أفحلال هو؟ فقال: ولا أقول ذلك، ثم قال له: أرأيت الحق والباطل، إذا جاء يوم القيامة، فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك.

موعظة: في أن الواجب على المسلم الانقياد لله ولرسوله

* **اعلم وفقنا الله وإياك:** أن الواجب على المسلم امتثال أوامر الله ورسوله، والمبادرة بالاستجابة لله ورسوله، فإن في ذلك الحياة الصحيحة، والنجاة في الدنيا والآخرة **قال تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [سورة الأنفال:٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور:٥١].

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [سورة الشورى:٤٧].

* **واحذر** من مخالفة أوامر الله ورسوله ومخالفة الأدلة بعد بيانها فإن هذا طريق الفتنة والهلاك عياذا بالله، **قال تعالى:** ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة النساء:١٤].

الحكمة من تحريم الأغاني وآلات اللهو والطرب

*** ذكر العلماء بعض الحكم ومنها:**

١- أنها تلهي عن ذكر الله تعالى وطاعته، والقيام بالواجبات الشرعية، مقتبسين ذلك من تسمية الله تعالى إياه بـ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة لقمان:٦]، وأنها نزلت في الغناء.

٢- أن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، كما ثبت ذلك عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفا عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب أثر ابن مسعود المتقدم (١/ ٢٤٨):

فإن قيل: فما وجه إنباته للنفاق في القلب من بين سائر المعاصي؟

قيل: هذا من أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها، ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها، وأنهم هم أطباء القلوب، دون المنحرفين عن طريقتهم الذين داووا أمراض

القلوب بأعظم أدوائها، فكانوا كالمداوي من السقم بالسم القاتل، وهكذا والله فعلوا بكثير من الأدوية التي ركبوها أو بأكثرها.

فاتفق قلة الأطباء وكثرة المرضى، وحدوث أمراض مزمنة لم تكن في السلف، والعدول عن الدواء النافع الذي ركبه الشارع، وميل المريض إلى ما يقوي مادة المرض؛ فاشتد البلاء وتفاقم الأمر، وامتلأت الدور والطرقات والأسواق من المرضى، وقام كل جهول يطبب الناس.

❋ فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء.

٣- أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا؛ لِمَا بينهما من التضاد.

فإن القرآن ينهى عن: اتباع الهوى، ويأمر بالعفة، ومجانبة شهوات النفوس، وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان. **والغناء يأمر بضد ذلك كله**، ويحسنه، ويهيج النفوس إلى شهوات الغي؛ فيثير كامنها، ويزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح، ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح، فهو والخمر رضيعا لبان، وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان، فإنه صنو الخمر ورضيعه، ونائبه وحليفه، وخدينه وصديقه، عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ، وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لا تنسخ.

٤- أنه جاسوس القلب، وسارق المروءة، وسوس العقل، يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع على سرائر الأفئدة، ويدب إلى محل التخيل، فيثير ما فيه من الهوى والشهوة، والسخافة والرقاعة، والرعونة والحماقة.

فبينا ترى الرجل وعليه سمة الوقار، وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن، فإذا استمع الغناء

ومال إليه نقص عقله، وقل حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلى عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله تعالى إيمانُه، وثقل عليه قرآنه، وقال: يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد؛ فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه، وأبدى من سره ما كان يكتمه، وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب، والزهزهة والفرقعة بالأصابع، فيميل برأسه ويهز منكبيه، ويضرب الأرض برجليه، ويدق على أم رأسه بيديه، ويثب وثبات الدباب، ويدور دوران الحمار حول الدولاب، ويصفق بيديه تصفيق النسوان، ويخور من الوجد ولا كخوار الثيران، وتارة يتأوه تأوه الحزين، وتارة يزعق زعقات المجانين.

* ولقد صدق الخبير به من أهله حيث يقول:

أتـذكر ليلـة وقـد اجتمعنـا ... على طيب السماع إلى الصباح؟
ودارت بيننا كـأس الأغـاني ... فـأسـكرت النفوس بغير راح

فلم تر فيهم إلا نشـــاوى سرورا والسرور هناك صاحي
إذا نـادى أخو اللـذات فيـه أجاب اللهو حي على السـماح
ولم نملك سـوى المهجات أرقـنـاهـا لألـحـاظ الـمـلاح

وقال بعض العارفين: السماع يورث النفاق في قوم، والعناد في قوم، والكذب في قوم، والفجور في قوم، والرعونة في قوم.

إلى أن قال:

فالغناء يفسد القلب، وإذا فسد القلب هاج في النفاق. وبالجملة؛ فإذا تأمل البصير حال أهل الغناء وحال أهل الذكر والقرآن تبين لهم حذق الصحابة، ومعرفتهم بأدواء القلوب وأدويتها وبالله التوفيق. اهـ.

* وبالجملة فإنك لا تجد أحدا اعتنى بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى علمًا وعملًا، أو فيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء، بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك، وثقل عليه سماع

القرآن، وربما حمله الحال على أن يسكت القارئ ويستطيل قراءته، ويستزيد المغني ويستقصر نوبته، وأقل ما في هذا: أن يناله نصيب وافر من هذا الذم إن لم يحظَ به جميعه.

❋ والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يحس بها، فأما من مات قلبه وعظمت فتنته فقد سد على نفسه طريق النصيحة، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة:٤١]. راجع كتاب "إغاثة اللهفان" لابن القيم (١/ ٢٤٩).

❋ الغناء والسماع يؤثر على المجتمعات، ويورثها الذلة والتكسر، وانفراط الأمر، وضعف التفكير في قضايا المصير؛ **ولهذا قال ذلك المستشرق: كأس وغانية يفعلان في المسلمين ما لا يفعله ألف مدفع.**

وقفات وتأملات

*** إذا أردت أن تتصور قدر انتشار هذه الفتنة فتأمل ما يلي:**

١- **في الجولات** انتشارها في نغمات الجوالات والهواتف المحمولة، فلا تجد هاتفا من هذه إلا ما رحم ربي ألا وهو مدعم بها.

٢- **في المدارس** انتشرت هذه الفتنة، حتى أصبح لها حصصًا خاصة بتدريس الموسيقى، وإقامة الحفلات، بل ولا يسلم منها الطابور الصباحي اليومي.

٣- **في الإعلام** لو نظرنا إلى نسبة ما يبث من الأغاني والموسيقى في الإذاعات والقنوات والفضائيات إلى بقية ما يبث من الأخبار وغيرها فلعلنا لا نبالغ إن قلنا إنها تزيد على الثلثين بل وأكثر.

٤- **في الانتظار** لتحويلات الهواتف، وانتظار المكالمات، والاتصال مع الشركات والمستشفيات والمؤسسات كلها موسيقى.

٥- **في البيوت** حدث ولا حرج ما بين إذاعات وفضائيات وقنوات وجوالات وغيرها، على مدار اليوم وبيوت المسلمين تعج بالأغاني والموسيقى.

٦- **في السيارات** المخصصة للأجرة والأسفار قد تهيأ أصحابها إلا من رحم الله لتوفير الأغاني والشيلات لقطع عناء الطريق على زعمهم، بل في معظم السيارات والدراجات النارية وغيرها لا تكاد يمر بك شيء منها إلا وتسمع صوت الأغاني والموسيقى.

٧- **في المحلات** كالتجارية والمعارض والفنادق وغيرها، بل حتى في الباعة المتجولين أصبح بيع بعض السلع مرتبطا بها، وانظر إلى بائع تلك المثلجات؛ كالآيسكريم يجول بسيارته وهي على تلك النغمات الموسيقية، حتى ترسخ في عقول الناس ذلك الصوت وأنه يدل على ذلك.

٨- **في الأعراس** كما تقدم، لا تكاد تجد عرسا إلا من رحم الله إلا وهو يعج بالأغاني والموسيقى والشيلات، مع تلك المكبرات التي تهتز بسببها الحارات والبيوت، ويحصل بسببها ارتكاب المنكر جهارًا، وأذية المرضى والجيران والنائمين، فإلى الله المشتكى وعليه التكلان!

٩- **في الألعاب** الخاصة بالصغار معظمها مخلوط بالأغاني والموسيقا.

الغناء الصوفي والأناشيد الإسلامية

* ذكر الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصلًا ماتعًا في كتابه "تحريم آلات الطرب" حول الغناء الصوفي والأناشيد الإسلامية، نقلته بنصه وبطوله لأهميته، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن بينا الغناء المحرم بقسميه، بالآلة وبدونها، معتمدين في ذلك على كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى الآثار السلفية وأقوال الأئمة، **فقد آن لنا أن نتحدث عن الغناء الصوفي وعما يعرف اليوم بالأناشيد الإسلامية أو الدينية فأقول وبالله أستعين:**

إن مما لا شك فيه أنه كما لا يجوز أن لا نعبد أحدًا إلا الله؛ تحقيقًا لشهادة أن لا إله إلا الله، فكذلك لا يجوز لنا أن نعبد الله أو نتقرب إليه إلا بما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تحقيقًا لشهادة محمد رسول الله، فإذا تحقق المؤمن بذلك كان محبا

لله متبعا لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أحبه الله كان الله معه وناصرًا له.

❋- وقد كنت ذكرت في مقدمة تعليقي على رسالة العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ "بداية السول في تفضيل الرسول" بعد حديثين معروفين في حب الله والرسول وأن من كان ذلك فيه وجد حلاوة الإيمان ما نصه:

❋ واعلم أيها الأخ المسلم أنه لا يمكن لأحد أن يرقى إلى هذه المنزلة من الحب لله ورسوله إلا بتوحيد الله تعالى في عبادته دون سواه، وبإفراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاتباع دون غيره من عباد الله؛ **لقوله تعالى**: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [سورة النساء:٨٠]، **وقوله**: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:٣١]. وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»**.

قلت: فإذا كان مثل موسى كليم الله لا يسعه أن يتبع غير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهل يسع ذلك غيره؟ فهذا من الأدلة القاطعة على وجوب إفراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاتباع وهو من لوازم شهادة أن محمدًا رسول الله؛ ولذلك جعل الله تبارك وتعالى في الآية المتقدمة اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون سواه دليلا على حب الله إياه، ومما لا شك فيه أن من أحبه الله كان الله معه في كل شيء، كما في الحديث القدسي الصحيح: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**». رواه البخاري (٦٥٠٢)، وهو مخرج في "الصحيحة" (١٦٤٠).

* وإذا كانت هذه العناية الإلهية إنما هي بعبده المحبوب من الله كان واجبا على كل مسلم أن يتخذ السبب الذي يجعله محبوبا عند الله، ألا وهو اتباع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده دون سواه، وبذلك فقط يحظى بالعناية الخاصة من مولاه تبارك وتعالى، ألست ترى أنه لا سبيل إلى معرفة الفرائض وتميزها من النوافل إلا باتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده؟

***- إذا عرف هذا فإني أرى لزامًا عليَّ انطلاقا من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» أن أذكر من ابتلي من إخواننا المسلمين من كانوا، وحيثما كانوا، بالغناء الصوفي أو بما يسمونه بالأناشيد الدينية، إسماعًا واستماعًا بما يلي:**

أولا: أن مما لا يرتاب فيه عالم من علماء المسلمين العارفين حقًا بفقه الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، الذين أمرنا بالتمسك بنهجهم، ونهينا عن مخالفة سبيلهم، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [سورة

النساء:١١٥] **أقول:** لا يخفى على أحد من هؤلاء العلماء أن الغناء المذكور محدث لم يكن معروفا في القرون المشهود لها بالخيرية.

ثانيا: أنه من المُسَلَّمِ عندهم أنه لا يجوز التقرب إلى الله إلا بما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لما تقدم بيانه، وقد ضرب لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الأمثلة التي تؤكد لكل ذي علم منصف ما ذكرنا، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

ومن المعلوم أن الدين له أصلان، فلا دين إلا ما شرع الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، والله تعالى عاب على المشركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، وشرعوا دينا لم يأذن به الله.

ولو سئل العالم: عمن يعدو بين الجبلين هل يباح له ذلك؟ قال: نعم، فإذا قيل: إنه على وجه العبادة كما يسعى بين الصفا والمروة؟ قال: إن فعله على هذا الوجه فهو حرام منكر، يستتاب فاعله فإن تاب وإلا قتل. ولو سئل عن كشف الرأس

ولبس الإزار والرداء؟ أفتى بأن هذا جائز فإذا قيل: إنه يفعله على وجه الإحرام كما يحرم الحاج؟ قال: إن هذا حرام منكر. ولو سئل عمن يقوم في الشمس؟ قال: هذا جائز فإذا قيل: إنه يفعله على وجه العبادة؟ قال: هذا منكر.

كما روى البخاري (٦٧٠٤): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**»، فهذا لو فعله لراحة أو غرض مباح لم ينه عنه، لكن لما فعله على وجه العبادة نهي عنه.

وكذلك لو دخل الرجل إلى بيته من خلف البيت لم يحرم عليه ذلك، ولكن إذا فعل ذلك على أنه عبادة كما لو كانوا يفعلونه في الجاهلية كان عاصيًا مذمومًا مبتدعًا.

- والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعاصي يعلم أنه عاص فيتوب، والمبتدع يحسب أن الذي يفعله طاعة

فلا يتوب؛ ولهذا من حضر السماع للعب أو لهو لا يعده من صالح عمله ولا يرجو به الثواب. وأما من فعله على أنه طريق إلى الله تعالى فإنه يتخذه دينًا، وإذا نهي عنه كان كمن نهي عن دينه، ورأى أنه قد انقطع عن الله، وحرم نصيبه من الله إذا تركه! فهؤلاء ضلال باتفاق علماء المسلمين.

- ولا يقول أحد من أئمة المسلمين: إن اتخاذ هذا دينا طريقا إلى الله تعالى أمر مباح بل من جعل هذا دينا وطريقا إلى الله تعالى فهو ضال مضل مخالف لإجماع المسلمين.

ومن نظر إلى ظاهر العمل وتكلم عليه ولم ينظر إلى فعل العامل ونيته كان جاهلا متكلما في الدين بلا علم. اهـ كلام شيخ الإسلام "مجموع الفتاوى" (١١/ ٦٣١-٦٣٣).

ثالثا: إن من المقرر عند العلماء أنه لا يجوز التقرب إلى الله بما لم يشرعه الله، ولو كان أصله مشروعا؛ كالأذان مثلا لصلاة العيدين، وكالصلاة التي تسمى بصلاة الرغائب، وكالصلاة

على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند العطاس، ومن البائع عند عرضه بضاعته للزبون، ونحو ذلك كثير وكثير جدا، من محدثات الأمور التي يسميها الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ بالبدع الإضافية، وحقق في كتابه العظيم حقًا "الاعتصام" دخولها في عموم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**».

- فإذا عرف ذلك فالتقرب إلى الله بما حرم يكون محرمًا من باب أولى، بل هو شديد التحريم؛ لما فيه من المخالفة والمشاقة لشريعة الله، وقد توعد الله من فعل ذلك بقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال:١٣].

* يضاف إلى ذلك أن فيه تشبها بالكفار:

- من النصارى وغيرهم، ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة الأعراف:٥١].

- وبالمشركين الذين قال فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [سورة الأنفال:٣٥] قال العلماء: (المكاء): الصفير. (والتصدية): التصفيق.

* **ولذلك اشتد إنكار العلماء علهم قديما وحديثا،** فقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تركت بالعراق شيئًا يقال له: التغبير، أحدثته الزنادقة، يصدون الناس عن القرآن.

وسئل عنه أحمد ؟ فقال: بدعة. وفي رواية: فكرهه ونهى عن استماعه، وقال: إذا رأيت إنسانًا منهم في طريق فخذ في طريق أخرى.

- **والتغبير:** شعر يزهد في الدنيا، يُغَنِّي به مُغَنٍّ، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو مخدة على توقيع غنائه، كما قال ابن القيم وغيره.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "المجموع" (١١/ ٥٧٠): وما ذكره الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنه من إحداث الزنادقة فهو كلام إمام خبير بأصول الإسلام، فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة، كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم.

كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في "مسألة السماع" عن ابن الراوندي قال: اختلف الفقهاء في السماع: فأباحه قوم، وكرهه قوم، فأنا أوجبه، أو قال: آمر به؛ فخالف إجماع العلماء في الأمر به.

والفارابي كان بارعًا في الغناء الذي يسمونه الموسيقى، وله فيه طريقة عند أهل صناعة الغناء، وحكايته مع ابن حمدان مشهورة، لما ضرب فأبكاهم، ثم أضحكهم، ثم نومهم، ثم خرج.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ص (٥٦٥): وقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم

وزهادهم أن يجتمعوا إلى استماع الأبيات الملحنة، مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته، واتباع ما جاء من الكتاب والحكمة، لا في باطن الأمر ولا في ظاهره، ولا لعامي ولا لخاصي.

ثم قال الشيخ (٥٧٣-٥٧٦): ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة ولا مصلحة، إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه، فهو للروح كالخمر للجسد، يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس.

ولهذا يورث أصحابه سكرًا أعظم من سكر الخمر، فيجدون لذة بلا تمييز، كما يجد شارب الخمر، بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر، ويصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر، ويوقع بينهم

العداوة والبغضاء أعظم من الخمر، حتى يقتل بعضهم بعضا من غير مس بيد، بل بما يقترن بهم من الشياطين، فإنه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم الشياطين في تلك الحال ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع: إما بكلام من جنس كلام الأعاجم الذين لا يفقه كلامهم كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم.

ويكون الإنسان الذي لبسه الشيطان غريبا لا يحسن أن يتكلم بذلك، بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم، وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم له معنى، وهذا يعرفه أهل المكاشفة شهودًا وعيانًا.

❋ وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط، فان الشياطين تلابس أحدهم بحيث يسقط إحساس بدنه، حتى أن المصروع يضرب ضربًا عظيمًا وهو لا يحس بذلك ولا يؤثر في جلده، فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين وتدخل بهم النار، وقد تطير بهم في الهواء، وإنما

يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كما يلبس الشيطان المصروع.

- وبأرض الهند والمغرب ضرب من الزط، يقال لأحدهم: المصلي فإنه يصلى النار كما يصلى هؤلاء، وتلبسه ويدخلها ويطير في الهواء ويقف على رأس الزج، ويفعل أشياء أبلغ مما يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لا خلاق لهم، والجن تخطف كثيرًا من الإنس وتغيبه عن أبصار الناس وتطير بهم في الهواء، وقد باشرنا من هذه الأمور ما يطول وصفه.

وكذلك يفعل هذا هؤلاء المتولهون والمنتسبون إلى بعض المشايخ، إذا حصل له وجد سماعي، وعند سماع المكاء والتصدية منهم من يصعد في الهواء ويقف على زج الرمح، ويدخل النار ويأخذ الحديد المحمى بالنار ثم يضعه على بدنه، وأنواع من هذا الجنس.

ولا تحصل له هذه الحال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن؛ لأن هذه عبادات شرعية إيمانية إسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين، وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تجلب الشياطين.

❋ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». وقد ثبت في الحديث الصحيح: أن أسيد بن حضير لما قرأ سورة الكهف تنزلت الملائكة لسماعها كالظلة فيها السرج.

❋ ولهذا كان المكاء والتصدية يدعو إلى الفواحش والظلم، ويصد عن حقيقة ذكر الله تعالى والصلاة كما يفعل الخمر، والسلف يسمونه تغبيرًا؛ لأن التغبير هو الضرب بالقضيب على جلد من الجلود، وهو ما يغبر صوت الإنسان على التلحين، فقد يضم إلى صوت الإنسان إما التصفيق بأحد اليدين على

الأخرى وإما الضرب بقضيب على فخذ وجلد، وإما الضرب باليد على أختها أو غيرها على دف أو طبل كناقوس النصارى، والنفخ في صفارة كبوق اليهود، فمن فعل هذه الملاهي على وجه الديانة والتقرب فلا ريب في ضلالته وجهالته.

ومن العلماء الذين بالغوا في الإنكار على غناء الصوفية

- **القاضي أبو الطيب الطبري فقال:** هذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين؛ لأنهم جعلوا الغناء دينًا وطاعة، ورأيت إعلانه في المساجد والجوامع، وسائر البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة.

- **ومنهم الإمام الطرطوشي:** سئل عن قوم في مكان يقرؤون شيئا من القرآن، ثم ينشدون لهم منشد شيئًا من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أو لا؟ **فأجاب:** مذهب الصوفية هذا بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار، فأتوا يرقصون حوله ويتواجدون، وهو -أي الرقص- دين الكفار وعباد العجل، وإنما كان مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم

من الحضور في المساجد وغيرها، **ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطل**، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين.

- ومنهم الإمام القرطبي قال: بعد أن ذكر الغناء الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن وفيه وصف النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة ولا يختلف في تحريمه:

وأما ما أبتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهرت في كثير منهم فِعْلاتُ المجانين والصبيان، حتى رقصوا بحركات متطابقة، وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقع بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سني الأحوال، وهذا

على التحقيق من آثار الزندقة، وقول أهل المخرقة، والله تعالى المستعان!

- **وقد أفتى بنحو هذا الإمام الحافظ ابن الصلاح** في فتوى له مسهبة، جوابًا على سؤال من بعضهم: عمن يستحلون الغناء بالدف والشبابة مع الرقص والتصفيق، ويعتقدون أن ذلك حلال وقربة وأنه من أفضل العبادات؟ **فأجاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بما خلاصته مما يناسب المقام قال:** لقد كذبوا على الله سبحانه وتعالى، وشايعوا بقولهم هذا باطنية الملحدين، وخالفوا إجماع المسلمين، ومن خالف إجماعهم فعليه ما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء:١١٥].

- **ومنهم الإمام الشاطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال إجابةً عن سؤال وجه إليه عن قوم ينتمون إلى الصوفية يجتمعون فيذكرون الله جهرا بصوت واحد ثم يغنون ويرقصون؟ **قال:** إن ذلك كله من البدع المحدثات، المخالفة طريقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وطريقة

أصحابه والتابعين لهم بإحسان، فنفع الله بذلك من شاء من خلقه، ثم ذكر أن الجواب لما وصل إلى بعض البلاد قامت القيامة على العاملين بتلك البدع، وخافوا اندراس طريقتهم، وانقطاع أكلهم منها، فلجأوا إلى فتاوى لبعض شيوخ الوقت يستغلونها لصالح بدعتهم.

فرد الشاطبي عليهم وبين أنها حجة عليهم، وبسط الكلام في ذلك جدا، في نحو ثلاثين صفحة (٣٥٨-٣٨٨) فمن شاء التوسع رجع إليه.

* وكان قبل ذلك ذكر أصولا ومآخذ يعتمد عليها أهل البدع والأهواء، وبين بطلانها ومخالفتها للشرع بيانًا شافيًا، فرأيت أن أقدم إلى القراء خلاصة عنها لأهميتها؛ ولأن علماء الأصول لم يبسطوا القول في بيانها، كما قال هو نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٢٩٧) فاطلبها من الحاشية، ومنهم العلامة المحقق الأديب الأريب ابن قيم الجوزية، وقد بلغ الغاية في الاحتجاج

لتحريم الغناء والملاهي، والغناء الصوفي، في كتابه الكبير "الكلام في مسألة السماع".

وقد توسع جدًا في الاستدلال على ذلك بالكتاب والسنة والآثار السلفية، وبيان مذاهب العلماء، والمراجحة بينها، والرد على المستحلين لما حرم الله.

ومن طرائفه أنه عقد مجلس مناظرة بين صاحب غناء وصاحب قرآن في فصول رائعة ممتعة، الحجة فيها ساطعة على المستحلين والمبتدعة، جزاه الله خيرًا.

وقد قال في رده المجمل على الغناء الصوفي ما مختصره ص (١٠٦-١٠٨): إن هذا السماع على هذا الوجه حرام قبيح لا يبيحه أحد من المسلمين، ولا يستحسنه إلا من خلع جلباب الحياء والدين عن وجهه، وجاهر الله ورسوله ودينه وعباده بالقبيح، وسماع مشتمل على مثل هذه الأمور قبحه مستقر في فطر الناس، حتى إن الكفار ليعيرون به المسلمين ودينهم.

نعم خواص المسلمين ودين الإسلام براء من هذا السماع الذي كم حصل به من مفسدة في العقل والدين والحريم والصبيان، فكم أفسد من دين، وأمات من سنة، وأحيا من فجور وبدعة!

- ولو لم يكن فيه من المفاسد إلا ثقل استماع القرآن على قلوب أهله، واستطالته إذا قرئ بين يدي سماعهم، ومرورهم على آياته صمًا وعميًا، لم يحصل لهم من ذوق ولا وجد ولا حلاوة؛ بل ولا يصغي أكثر الحاضرين أو كثير منهم إليه، ول يُقَوِّمُونَ معانيه، ولا يغضون أصواتهم عند تلاوته.

تُلِيَ الكتابُ فأطرقوا لا خفية ... لكنه إطراق ساهٍ لاهي
وإلى الغناء فكالذباب ... والله ما رقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن ... فمتى رأيت عبادة بملاه
يثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي
والرقص خف عليهم بعد ... يا باطلا قد لاق بالأشباه

يا أمة ما خان دين محمد وجنى عليه وملـه إلا هي

وبالجملة فمفاسد هذا السماع في القلوب والنفوس والأديان أكثر من أن يحيط به العد.

- **ومنهم المفسر المحقق الآلوسي** فقال بعد أن أطال النفس جدا في تفسير آية ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾، والآثار وأقوال المفسرين فيها، وفي دلالتها على تحريم الغناء، ومذهب الفقهاء فيه، (١١/ ٧٢-٧٣):

فقال وأنا أقول: قد عمت البلوى بالغناء والسماع في سائر البلاد والبقاع، ولا يتحاشى من ذلك في المساجد وغيرها، بل قد عُيِّنَ مغنون يغنون على المنائر في أوقات مخصوصة شريفة، بأشعار مشتملة على وصف الخمر والحانات، وسائر ما يعد من المحظورات، ومع ذلك قد وُظِّفَ لهم من غلة الوقف ما وظف، ويسمونهم الممجدين، ويعدون خلو الجوامع من ذلك من قلة الاكتراث بالدين، وأشنع من ذلك ما يفعله أبالسة المتصوفة ومردتهم.

ثم أنهم – قبحهم الله تعالى – إذا اعترض عليهم بما اشتمل عليه نشيدهم من الباطل يقولون: نعني بـ(الخمر) المحبة الإلهية، أو بـ(السُكْرِ): غلبتها. أو بـ(مية) و(ليلى) و(سعدى) مثلا: المحبوب الأعظم، وهو الله عز وجل، وفي ذلك من سوء الأدب ما فيه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٨٠].

❋ ثم نقل عن بعض الأجلة ص (٧٥) أنه قال: ومن السماع المحرم سماع متصوفة زماننا، وإن خلا عن رقص، فإن مفاسده أكثر من أن تحصى، وكثير مما ينشدون من الأشعار من أشنع ما يتلى، ومع هذا يعتقدونه قربة، ويزعمون أن أكثرهم رغبة فيه أشدهم رغبة أو رهبة، قاتلهم الله تعالى أنى يؤفكون.

وكان قبل ذلك نقل ص (٧٣) عن العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإنكار الشديد لسماعهم ورقصهم وتصفيقهم، ثم تحدث عن

وجدهم، وأقوال العلماء فيه، وهل يؤاخذون عليه؟ وأنكره هو عليهم؛ لأنه لم يكن في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم عاد إلى التعرض لما يسمونه بـ(التمجيد) على المنائر وأنكره.

ثم ذكر الأحاديث في تحريم المعازف، ومنها حديث البخاري. ثم ذكر حكم القعود في مجلس فيه شيء منها، وأقوال العلماء في ذلك.

ثم قال ص (٧٩): ثم إنك إذا ابتليت بشيء من ذلك فإياك ثم إياك أن تعتقد أن فعله أو استماعه قربة، كما يعتقد ذلك من لا خلاق له من المتصوفة، فلو كان الأمر كما زعموا لما أهمل الأنبياء أن يفعلوه، ويأمروا أتباعهم به، ولم ينقل ذلك عن أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا أشار إليه كتاب من الكتب المنزلة من السماء، وقد **قال الله تعالى**: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة:٣]، ولو كان استعمال الملاهي المطربات أو استماعها من الدين ومما يقرب إلى حضرة رب العالمين لبينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوضحه كمال الإيضاح لأمته،

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ مَا تَرَكْتُ شَيْئًا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، ومَا تَرَكْتُ شَيْئًا يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ**».

❋ وبعد فهذا ما تيسر لي ذكره من أقوال العلماء المشهورين في إنكار الغناء الصوفي وبيان أنه بدعة ضلالة، بعد أن أثبتنا حرمة الغناء بالكتاب والسنة، وتقدمت أقوال أخرى لآخرين في بعض الفصول المتقدمة، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية.

❋- ولا بد لي بهذه المناسبة أن أقص على القراء ما وقع لي مع بعض الطلبة المقلدين من المناقشة حول هذا الغناء اللعين، وذلك منذ نصف قرن من الزمان، وأنا في دكاني في دمشق أصلح الساعات جاءني زبون من الطلبة، وعليه العمامة الأغبانية المزركشة المعروفة في سوريا، فلفت نظري ظرف كبير يتأبطه ظننت أن فيه بعض إسطوانات صندوق سمع فونوغراف

المعروفة في ذلك الزمان، فلما سألته أجاب بما ظننت، فقلت له مستنكرا: أأنت مغني؟ قال: لا، ولكني أسمع الغناء قلت: أما تعلم أنه حرام باتفاق الأئمة الأربعة؟ قال: لكني أفعل بنية حسنة، قلت: كيف ذلك؟ قال: إني أجلس أسبح الله وأذكره والسبحة بيدي وأستمع لغناء أم كلثوم فأتذكر بصوتها العذب صوت الحور العين في الجنة. فأنكرت ذلك عليه أشد الإنكار، ولا أذكر الآن ما قلت له بعدها، ولكنه لما رجع بعد أسبوع ليأخذ ساعته بعد تصليحها جاء معه طالب أقوى منه، معروف من جمعية رابطة العلماء، فتكلم في الموضوع مؤيدا لصاحبه معتذرا عنه بحسن نيته، فأجبته بأن حسن النية لا يجعل المحرم حلالًا، فضلا عن أن يجعله قربة إلى الله. أرأيت لو أن مسلما استحل شرب الخمر بدعوى تذكر خمر الجنة؟ وهكذا يقال في الزنا أيضا، فاتق الله ولا تفتح على الناس باب استحلال حرمات الله، بل والتقرب إلى الله بأدنى الحيل فانقطع الرجل. فهذا مثال من تأثير الغناء الصوفي.

* وما لي أذهب بالقراء بعيدًا فهذا الشيخ الغزالي الذي اشتهر بأنه من الدعاة الإسلاميين، وأعطي من أجل ذلك جائزة إسلامية عالمية كبرى يستبيح الغناء المذكور، ولو من أم كلثوم وفيروز، وحينما أنكر عليه أحد الطلبة استماعه لأغنية أم كلثوم فيما أظن:

أين ما يدعى ظلاما يا رفيق الليل أينا؟

أجاب بقوله: إنني أعني شيئا آخر (ص ٧٥)، السنة يعني أن نيته حسنة!

وكان قبل ذلك ص (٧٠) وضع حديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» في غير موضعه، وذلك من الأدلة الكثيرة على جهله بفقه السنة لأن معناه: إنما الأعمال الصالحة بالنيات الصالحة، كما يدل على ذلك تمام الحديث، وهو ظاهر بأدنى تأمل، ولكن ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [سورة النور: ٤٠].

*- **وختاما أقول:** لو لم يكن من شؤم الغناء الصوفي إلا قول أحدهم: سماع الغناء أنفع للمريد من سماع القرآن من ستة أوجه أو سبعة لكفى!

* ولما قرأت هذا في "مسألة السماع" لابن القيم (١/ ١٦١) لم أكد أصدق أن هذا يقوله مسلم، حتى رأيته في كلام الغزالي في "الإحياء" (٢/ ٢٩٨) وبعبارة مطلقة غير مقيدة بـ(المريد) مع الأسف الشديد، وأكده بأن أورده على نفسه سؤالًا أو اعتراضًا خلاصته:

إذا كان كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة فما بالهم لا يجتمعون على قارئ القرآن؟

فأجاب بقوله: فاعلم أن الغناء أشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه...! ثم سود أكثر من صفحتين كبيرتين في بيانها.

* فيتعجب الباحث كيف يصدر ذلك من فقيه من كبار فقهاء الشافعية، بل قال فيه من نُجِلُّه: حجة الإسلام ومع ذلك فكلامه فيها هزيل جدًا، ليس فيه علم ولا فقه، يتبين ذلك من

قوله الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه، ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال، فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا يوافق حالهم إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال...

فإذن لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى، من حيث لا يجد سبيلًا إلى دفعه... وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراد... فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك، وهذا ما ينقدح في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن.

فأقول: الله أكبر! لقد بلغ السيل الزبى، فقد تضخمت المصيبة، لقد كانت محصورة في المريدين، في نقل ابن القيم المتقدم وإذا بالغزالي يصرح بأنها في الشيوخ أيضًا، وعنهم

يدافع بذلك التعليل البارد، الذي تغني حكايته عن رده والله المستعان!

❋ وإذا كان الغزالي هذا يصرح بأن القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال، فما لنا وللوجد الذي من أجله سوغ الصوفية الإعراض عن سماع القرآن، الوجد الذي أحسن أحواله أن يكون صاحبه مغلوبًا عليه كالعطاس مثلا وأسوؤه أن يكون رياء ونفاقا، وأين هم من **قوله تعالى** في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٤]؟

❋ ورحم الله ابن القيم وجزاه خيرًا فقد عرف أضرار هذا السماع الشيطاني، وجلَّى مخالفته للسماع القرآني من وجوه كثيرة في فصول علمية عديدة، وبحوث فقهية مفيدة، وبين ضلال المتمسكين به ضلالًا بعيدًا، في كتابه السابق "مسألة السماع"، ونحوه في "إغاثة اللهفان"، وأنشأ فيهم قصائد من

الشعر، وصفهم فيها وصفًا دقيقًا صادقًا، منها قصيدة في ثلاثين ومائة بيت في "الإغاثة" جاء فيها (١/ ٢٣٢):

تركوا الحقائق والشرائع واقتدوا ... بظواهر الجهال والضلال

جعلوا المراد فتحًا، وألفاظ الخنا ... شطحا، وصالوا صولة الإدلال

نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم ... نبذ المسافر فضلة الأكَّال

جعلوا السماع مطية لهواهم ... وغلوا فقالوا فيه كل محال

هو طاعة هو قربة هو سنة ... صدقوا لذاك الشيخ ذي الإضلال

شيخ قديم صادهم بتحيل ... حتى أجابوا دعوة المحتال

هجروا له القرآن والأخبار والـ ... آثار إذ شهدت لهم بضلال

ورأوا سماع الشعر أنفع للفتى ... من أوجه سبع لهم بنوال

تالله ما ظفر العدو بمثلها ... من مثلهم واخيبة الآمال

كلمة في الأناشيد الإسلامية:

* هذا وقد بقي عندي كلمة أخيرة أختم بها هذه الرسالة النافعة إن شاء الله تعالى وهي حول ما يسمونه بالأناشيد الإسلامية أو الدينية فأقول:

قد تبين من تحريم آلات الطرب كلها، إلا الدف في العيد والعرس للنساء، ومن هذا الفصل الأخير أنه لا يجوز التقرب إلى الله إلا بما شرع الله، فكيف يجوز التقرب إليه بما حرم؟ وأنه من أجل ذلك حرم العلماء الغناء الصوفي، واشتد إنكارهم على مستحليه.

*** فإذا استحضر القارئ في باله هذه الأصول القوية تبين له بكل وضوح أنه لا فرق من حيث الحكم بين الغناء الصوفي والأناشيد الدينية.**

* بل قد يكون في هذه آفة أخرى وهي أنها قد تلحن على ألحان الأغاني الماجنة، وتوقع على القوانين الموسيقية الشرقية أو الغربية، التي تطرب السامعين وترقصهم،

وتخرجهم عن طورهم، فيكون المقصود هو اللحن والطرب وليس النشيد بالذات، وهذه مخالفة جديدة وهي التشبه بالكفار والمجان.

❋ وقد ينتج من وراء ذلك مخالفة أخرى وهي التشبه بهم في إعراضهم عن القرآن وهجرهم إياه، فيدخلون في عموم شكوى النبي ﷺ من قومه كما في **قوله تعالى**: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان:٣٠].

❋ وإني لأذكر جيدا أنني لما كنت في دمشق -قبل هجرتي إلى هنا عَمَّان بسنتين- أن بعض الشباب المسلم بدأ يتغنى ببعض الأناشيد السليمة المعنى، قاصدًا بذلك معارضة غناء الصوفية بمثل قصائد البوصيري وغيره، وسجل ذلك في شريط فلم يلبث إلا قليلا حتى قرن معه الضرب على الدف، ثم استعملوه في أول الأمر في حفلات الأعراس على أساس أن الدف جائز فيها، ثم شاع الشريط واستنسخت منه نسخ،

وانتشر استعماله في كثير من البيوت، وأخذوا يستمعون إليه ليلًا نهارًا، بمناسبة وبغير مناسبة، وصار ذلك سلواهم وهجيراهم، وما ذلك إلا من غلبة الهوى والجهل بمكائد الشيطان، فصرفهم عن الاهتمام بالقرآن وسماعه فضلا عن دراسته، وصار عندهم مهجورًا، كما جاء في الآية الكريمة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" (٣/ ٣١٧): يقول تعالى مخبرا عن رسوله ونبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان:٣٠]، وذلك أن المشركين كانوا لا يسمعون القرآن، ولا يستمعونه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [سورة فصلت:٢٦]، فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره؛ حتى لا يسمعوه، فهذا من هجرانه.

وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول

أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب. اهـ.

تنبيه مهم:

❋ انتشر الآن في هذه الأزمان المتأخرة ما يسمى بـ(الشيلات) وأدخل عليها ما يسمى بـ(المؤثرات الصوتية)، وأصبحت تفوق الأغاني في فتنتها والتطريب الذي فيها، حتى طغت على الأغاني.

❋ وأصبحت جوالات أكثر الشباب، بل وكبار السن، بل والنساء مليئة بأنواع الشيلات، ينامون عليها ويقومون عليها، يغدون عليها ويروحون عليها.

❋ وهذه الشيلات مع تلك الأصوات التي أضيفت إليها أصبحت محاكية للغناء، ولا يستطيع السامع أن يفرق بين كونها موسيقى أو مؤثرات صوتية، والفتنة حاصلة بها، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدما، فيجب على المسلم الابتعاد عنها.

خاتمة

* **إلى متى** ستظل أيها الغافل اللاهي مقيمًا على غفلتك معاصيك، أما آن لقلبك أن يخشع لذكر الله وما نزل من الحق. **واعلم أخي المسلم** أننا منتقلون عن هذه الدنيا وراحلون عنها إلى الله، وأنه لا ينفعك في قبرك ولا في الآخرة إلا عملك الصالح، وإيمانك بالله. وأن المعاصي والذنوب طريق الشقاء والنكد، وضيق العيش، ومن أسباب الخسارة في الدنيا والآخرة، وهذه الأغاني تبعدك عن الله وعن الآخرة. وإنك لن تجد طعم الراحة في الدنيا وأنت معرض عن الذكر وواقع فيما يغضب الله، **قال تعالى**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل:٩٧]. **وقال تعالى**: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة طه:١٢٤].

* **فإياك إياك** أن تُصِرَّ عليها بعد إذ سمعت ما سمعت عنها، وقرأت ما قرأت، فبادر بالتوبة إلى الله مما قد سلف منك من الذنوب، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [سورة النور:٣١]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [سورة التحريم:٨].

* **واعلم** أن الله سبحانه رؤوف رحيم يغفر الذنوب جميعًا، ويفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه. **وإياك** والتمادي في الذنب، وتسويف التوبة، ولا تأمن مكر الله، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

* وينسب إلى ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

برئنا إلى الله مِن معشَرٍ ... بهم مرَضٌ مُوردٌ لِلضَّنَى
وكم قلتُ يا قومُ أنتم على ... شَفا جُرُفٍ من سماع الغِنا
فلما استهانوا بتنبيهنا ... تركنا غويًّا وما قد جَنى
وهل يستجيبُ لداعي ... غويٌّ أصارَ الغنا دَيدَنا

فعِشــنا على مِلَّة المصــطفَى وماتوا على تنتنا تنتنا

❋ وفقنا الله وإياك لِما يحب ويرضا، وجنبنا وإياك ما يكره ويأبى، وجعلنا وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والحمد لله رب العالمين.

كتبه: أبو عبد الرحمن

الدكتور فيصل بن مسفر بن معوض الزنامي الوادعي

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣
الأدلة من القرآن ٦
الدليل الأول ٦
الدليل الثاني ٨
الدليل الثالث ٩
الدليل الرابع ١٠
الأدلة من السنة ١٣
الحديث الأول ١٣
الحديث الثاني ١٧
الحديث الثالث ١٩
الحديث الرابع ٢١
فائدة ٢٣
موعظة: في أن الواجب على المسلم الانقياد لله ولرسوله ٢٣
الحكمة من تحريم الأغاني وآلات اللهو والطرب ٢٥

وقفات وتأملات ٣١
الغناء الصوفي والأناشيد الإسلامية ٣٤
ومن العلماء الذين بالغوا في الإنكار على غناء الصوفية ٤٩
كلمة في الأناشيد الإسلامية ٦٥
تنبيه مهم ٦٩
خاتمة ٧٠
فهرس الموضوعات ٧٣